بين قلبين

آيه محمد صالح

بين قلبين

آية محمد صابر

بوقار
بيت الأدب
Bouvar

نوع العمل : قصه

الكاتب / الكاتبة : آية محمد صابر

تصميم الغلاف : نورا

تصميم داخلي : زهرة

تعبئة وتنسيق : زهرة

فريق عمل بوقار " بيت الأدب " للنشر الإلكتروني

https://www.facebook.com/DarBovaar

الفصل الأول

" قيل إنَّ لجمال روح فليس كل ما نره جميل لأنه جميل؛ بل لإننا أردنا أنْ نراه جميل، يكمن الجمال في أعيننا وليس فيما نراه؛ لذلك قالوا كن جميلًا ترَ الوجود جميلًا ".

ـ بدىٰ الصباح بوجه الباسم على أحد المنازل في حي المنشية في محافظة الإسكندرية، تداخل صوت زقزقة العصافير مع صياح والدة تلك النائمة باستكانة تضع في شحمتي أذنها سماعات هاتفها " الهند فري " وصوت قارئها المفضل " إسلام صبحي " يطغىٰ على صياح والدتها التي لاتزال تصيح منادية عليها لتحضر لوالدها الأفطار إلىٰ أن أيست من استجابة ابنتها فقامت بغضب

بوقار بيت الأدب Bouvar

العالم أجمع نحو غرفة ابنتها فهتفت بصياح وهى تنزع السماعات بعنف من أذن ابنتها .

ـ " أنتِ يا ست هانم هتفضلي نايمه لحد أمتا قومي فزي حضري لأبوكي الفطار الساعة داخلة على عشرة ناوية تنامي لحد أمتا،أنا مش عارفة أنا عملت في حياتي إيه عشان ربنا يبتلينا ببنت شبهك قومي شوفي بنات عمامك وعماتك يكشي تكوني ربعهم، اللهم لا اعتراض لا جمال ولا تعليم وكمان عايزة تكوني بُروطة في بيت واسمع كلمة ديه وديه مش كفاية عمتك حارقة دمي من كلامها عليكِ بسبب اللي عملاه في ابنها، نفشىٰ ريشك على إيه ياختي أنتِ تحمدي ربنا أنه راضي يجوزك أنا مش عارفة خدك على إيه أنتِ مفكيش ذرة أنوثة وحده كتك خيبة قومي ظبطي نفسك نيل أي حاجة في خلقتك ديه الراجل جاي على بعد الضهر عايزاكِ تفردي ضبك ده ".

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ رمشت بخفوت وحركت أعينها ببطء لتسمح لأشعة الشمس بتسرب إليهما ومن ثمة أغلقتهما عنوة؛ كي تتحكم في تلك الأدمع المهراقة، زفرت بألمٍ جلي على قسماتها التي نُحِت عليها الوجع باحترافية وشخصت أبصارها لذلك السقف الذي شهد آهاتها المثخنة، أصبحت تنظر إليه أكثر من مرآتها التي دثرتها بوشاحها الأسود لـأَلَّا ترى وجهِها الذي كان السبب في كره الجميع لها

ـ أطرقت رأسها لتلك الهواجس اللعينة التي أخذت تلطم بها هنا وهناك.

ـ ما ذنبي أليستُ خلق الله؟

ـ ما أقبح ذلك المجتمع الذي يحكم علينا من هيئتنا.

ـ أليس جميعنا سواسية؟

ـ أليس أحد أفضل من أحد سوىٰ بـتقوىٰ الله؟

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ أصارت الأثواب تُزيننا أم الأخلاق هىٰ منْ تُجملنا؟

ـ اختلت المعاير في نظري وانجرفت مع ريح وصرت أخشى الناس وما هم بحق ولكن انهكت روحي بقبح ألسنتهم.

ـ علا صوت أبيها مناديًا باسمها؛ فأخذت طُرقات المنزل عدوًا تحمل بين يديها صحن كبير به بعض الفطائر والمشروب المصري الأصلي المعروف في محافظتها" شاي بلبن" واتجهت حيث يجلس أباها في شرفة المنزل يحمل بين يديه صحيفة اليوم

" جرنال الأهرام " يقرأه بدون تركيز فجُل تركيزه منصب على تلك الواقفة أمامه كنسمة الصباح خفيفة أخف من جناح طائر صغير، نظر إليها بشرر متطاير من عينيه وألقىٰ الصفيحة بعصبية على المنضدة التي أمامه.

وهتف بخشونة بصوتٍ عالٍ نسبيًا:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ ساعة عشان تيجي وتحضري الفطار، أمتا هتتحملي المسؤلية...

ـ قاطعته بأدب لتبرر موقفها:

ـ والله يا بابا متأخرتش صحيت أحضر الفطار ملقتش "أمين" ـ ابن حارس العمارة التي يملكها والدها ـ جاب العيش وأنا عارفة أن حضرتك بتحب العيش سخن وطازة فنزلت اسأله قالي معرفش يطلع عشان والده مش هنا يحرس العمارة فخدته من وطلعت حضرت الفطار.

ـ نظر إليها بغضب وجزَّ على أضراسه:

ـ أنتِ إزاي تقطعي كلامي كده، مش مالي عينك ولا إيه يا ست " آية "، ديه آخرة دلعي فيكِ ليه ياربي عملت إيه في دنيتي، منها لله أمك فيها إيه لو كانت وافقت أجوز واحدة تانية أجيب منها الواد اللي يشيل اسمي منك لله يا" تحية" أنتِ وبنتك في ساعة وحدة.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ أطاح بأطباق الطعام في وجه تلك المسكينة التي ترقرق الدمع في مقلتيها.

ـ ألاٰ يكفيها ما تسمعه من أمها في البكورِ والغدو!

ـ ألاٰ يكفيها أحاديث أقرانها من بنات وابناء عمومتها وعماتها!

ـ ألا يكفيها شعورها كأنها منبوذة من الآخرين وأنها الجُرم المضني الذي يجب الخلاص منه، وكأنها لعنة حطت عليهم.

ـ أيأتي والدها ويشعرها بنفوره منها؟!

ـ كم كانت تسكت تلك الهواجس بداخلها وتصرخ بأعلى صوت بأن والدها يحبها وأن ما يمنعه عنها انشغاله بأعماله لأجل توفير عيشة هنية لها ولوالدتها.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ كم تمنت لو يحتضنها والدها ويربت على كتفها بحنو؛ ليمحو أثر تلك الألسنة اللاذعة التي أشد ألمًا من السياط الجلادة.

ـ ما العيب أن يكون جل أمانيها تربيته حانية من والدها، لمسة تِحْنان من والدتها، بسمة حب من عماتها، ضحكات وليالٍ أُنس مع أقرانها من بنات عمومتها، نظرة احترام واحتواء من خطيبها.

ـ أكثير أم ليس لأمثالها حظ؟

ـ أنتِ لسة واقفة عندك، قومي نضفي القرف ده.

ـ أردفت والدتها بتلك العبارة وهى تنظر لها نظرة احتقار وغضب تحمل بين طياتها الكثير والكثير.

ـ ألفظت ذلك القُبح من رحمي كيف ذلك؟

ـ أخُلِقت لعنة من دمي؟

ـ أليس بسببها لا أستطيع الإنجاب ثانية لو أعلم أنها ستكون بذلك القبح لِمَ ضحيت برحمي ولتركتها تلفظ أنفاسها الآخيرة وهى مختنقة من حبلي الذي أطعمها وسقاها.

ـ وجهت أسهم الاتهام إلىٰ فلذة كبدها ومقلتيها يشعان بوميض الكره.

ـ واعجباه كان يستوقفني قوله تعالىٰ:

" ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ".

" ويحي من قلبٍ أشد صلبة من حجر وألمي حين يكون ذلك القلب من حملتني وهنًا على وهن ".

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ هتفت السيدة" تحية " بحقن وهى ترى دموع ابنتها التي انهمرت كالسيل الجارف:

ـ بتعيطي على إيه ولا إيه ياختي، خيبة اللي عايزة بنات، بسببك الراجل تطفشان خلفة الندامه،قومي انجزي خطيبك على وصول.

ـ تألم فؤادها وأردف يَئِنُ بخفوت يرثي حاله الذي بات الألم مسكنه.

" ومالي سوىٰ عَبَرات عائدات تؤنس مضجعي وتشاطرني وسادتي وتبرد لهيب فؤادي وتطفئ جروحي المثخنة".

صدع صوت آذن الظهر ومع قول " الله أكبر" صدع صوت فؤادها يهتف بوجعٍ:

" الله أكبر، إليك أنا يا الله، أنا ذلك الفُتات المنثور، ذو الروح المنهكة وصوت الوجل، أنا الباقية المتهشمة من سوط أحبتي، أنا الذي خلقتُ من رحم الألم، إليك أنا وما أريد سوىٰ لطفك يا منْ جبرت العاصي بسترك وجبرت المريض بشفاءك وجبرت المتعافي بدوام عافيته، أجبرني ولملم شتاتي وضمد انكساراتي وقومني".

ـ أمت على دعاء قلبها وذهبت صوب غرفتها كالبلد الميت جسد بلا روح تستعد لمزيد من جرعات الألم التي ستلقاها من ابن عمتها خطيبها المصون.

ـ السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

ما لبست أن تختم صلاتها إلَّا وصوت والدتها تسرب إلى أذنيها يحمل بين خباياه تلك الإهانات المحرقة وتلك الكلمات القاتلة.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ حرمًا يا ست الشيخة، ولا أقولك تقبل الله بدل متفتحيلي حقيقي، قومي ياختي خطيبك برة أفرضي خلقتك العكرة ديه

ـ حركت رأسها بمعنى نعم دون أن تنطق ببنت شفة وذهبت ورائها كالإنسان الألي الذي وكل إليه أمر ويجب تنفيذه.

ـ تقدمت أمها وأردفت بأرق الكلمات وأطيب العبارات لخطيب ابنتها:

ـ وأنا أقول بيتنا نور ليه، أزيك يا " نادر" عامل إيه مش بتيجي ليه زي الأول ده أنت لك واحشة.

ـ تحدث بحشرجة وبنبرة حاول أن تكون عادية؛ فهو يأتي رغمًا عنه لو لم يكن عمه صاحب تلك العمايل الشاهقة ما كان يقدم على تلك الزيخة أبدًا، هتف بود مخادع:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ الشغل والله وأخد كل واقتي وأنت والله يا مرات عمي.

ـ ربنا يعينك يا حبيبي، كنت هنسىٰ ده أنا عملتلك الرقاق اللي بتحبه، استنى هنادي على " آية " استعجلها معرفش تأخرت ليه

ـ قاطع خروج والدتها من حجرة الضيوف دلوفها غاضة الطرف تحمل بين يديها صحن به شرائح الرقاق والعصير التي أعددتهم سلفًا، ولكن دائمًا كانت والدتها تخبر الجميع أنها هى التي تعد تلك الحلويات الشهية فما كان لها سوى الصمت سبيل، سألتها يومًا لما تفعل ذلك؟

ـ اجابتها بإهانة لاذعة:

ـ أنتِ عايزاني أقولهم أنك اللي بتعملي الأكل عشان بيجوش تاني، دول بيخافوا يبصوا في وشك.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ انتشلها من استرسال تلك الهواجس صوته الذي بدىٰ أكثر لينًا فهو يتعمد أن يكون هكذا أمام والدها ووالدتها، غير ذلك فهو لا يبالي ولا يهتم بها وكأنها فرضت عليه، حركت رأسها بعنف علَّها تتخلص من تلك الأمور التي تنغص حياتها؛ فهى كأي فتاه تتمنىٰ أن يرغب فيها زوجها وتكون عن طيب خاطر منه وليس فرض.

ـ إزيك يا " آية ".

ـ أردف بتلك العبارة الموجزة وهو يمد يده إليها يريد مصافحتها.

ـ نظرت إلي يده الممدودة باستحياء وهتفت بخفوت:

ـ وعليكم السلام ورحمة الله، الحمدلله، أنت أخبارك إيه، شكلك نسيت مش بسلم.

ـ نظرت إليها والدتها وشرر يتطاير من عينيها، وأردفت بحده:

ـ" آية" أتعدلي سلمي على خطيبك هو مش هيكلك ياختي، ده سلام مش هيخدك بالحضن هو.

ـ نظرت الآخرى إلى والدتها بصدمة وأُلجِمَ لسانها عن حديث، أما الآخر فقد استغل تلك اللحظة وأردف بزعل مصطنع:

ـ خلاص يا طنط خليها براحتها شكلها مش حابه وجودي عن أذنكم.

ـ وخرج بسرعة البرق قبل أن يتفوه كلتاهما بكلمة فهو أراد ذلك منذ البداية.

ـ على حين غرة من " آية" أمسكتها والدتها من شعرها الذي كان خمارها الموف يغطيه لطمتها بقوة على وجهها:

ـ أنتِ عايزة تطفشي العريس الحيلة ياختي اللي عبرك، أنتِ عايزة إيه بالظبط يا بت، فيها إيه ياختي لما تسلمي، أنتِ فاكرة نفسك مين بصي يا بت على شكلك في مراية ده وشك وقفاكِ حاجة واحدة.

ـ ودفعتها بقوة لترتطم رأس " آية" بقوة في نيش.

انسابت عَبَراتها بألم ولم تستطع قول شيء أحست كأن حقها في الحياة مسلوب إتكأت الكرسي الذي بجانبها وتحاملت على نفسها لتذهب إلى شقتها التي أهدها والدها إلى ابن عمتها حتى يتم تلك الزيجة في أسرع وقت.

ـ خطت بخطى بطيئة نحو جحيم آخرى متصور في عيشتها في تلك البقعة مع ذلك الوغد الذي لا يهمه سوى

بوقار بيت الأدب Bouvar

تلك الوريقات، وضعت مفاتيح في باب شقتها ولكن أوقفها تلك الضحكة الأنثوية القادمة من شقتها تضاربت مئات السيناريوهات في رأسها ولكن حسمت أمرها وفتحت باب شقتها ويااليتها لم تفتحه.

ـ جحظت عينيها بصدمة أذلك خطيبها في وضع يخل ومع من؟!

ـ مع ابنة عمها الساكنة بجوارهم!

ـ أما الاثنين فقد ألجمتها الصدمة إلا أن الآخر أفاق منها سريعًا وتوجها صوبها بغضب قبض على زراعيها بقوة إلا أنها صرخت بصوت عالٍ:

ـ ابعد عني متلمسنيش.

ودفعته بقوة ولكنه لم يتحرك قيد نملة بل أحكم قبضته وكمم فاها بيده وأردف من بين أسنانه:

ـ إياكِ ثم إياكِ حد يعرف، عارفة لو حصل هعمل إيه هفسخ الخطوبة وستلقي وعدك من أمك وأبوكِ مش بعيد يرموكي برة، أنتِ ملكيش حق في العز ده كله أنا اللي هورثك بالحياه هخليكِ قاعدة كده يا بوظ الكلب وهتشوفيني مجوز عليكِ اثنين وتلاتة وأربعة، أنتِ فاكرة واخدك عشان سواد عيونك، لولا عمي جه وترجاني وكتبلي المحل باسمي مكنت فكرت أتف حتى في وشك بس بقىٰ أنا مش عايز حته المحل لاء أنا هاخد ثروتك كلها أتمتع بيها.

ألقىٰ بتلك الكلمات اللاذعة على مسامعها ودفعها بقوة خارج الشقة إلا أن تلك المسكينة لم تقوىٰ لا تعلم أبسبب ما فعلته أمها أم أبها ام كلمات خطيبها التي كانت تكذبها أم ضربة والدتها أم دفعة ذلك الوغد.

ترنحت وهى تخطو لتنزل إلى أسفل فوقعت فاقدة الوعي.

بوقار بيت الأدب Bouvar

الفصل الثاني

" للحب سبع ألوان كألوان الطيف، فلا يمكن استبدال لون مكان الآخر، ولا يمكن نزعه، يكمن جمال الطيف بجميع ألوان المتراصة واحدًا تلو الآخر؛ لذلك لا يعوض حب الأب بحب زوج ولا حب الأم بحب صديقة ولا حب العائلة بحب الغرباء، ولا يكمن الاستغناء بذلك كله عن حب ذات...

" ابتلينا بفقر الحب ولم تطمع إلا بسواه " ”

ـ داخل إحدى المستشفيات العريقة في حي المنشية في الإسكندرية كانت " آية " ترقد بوهن على إحدى الأسِرة بينما كانا والداها في مكتب الطبيب الذي أخبر ممرضته الخاصة بضرورة رؤية أبويها.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ تقدم الحج " مرتضى" إلىٰ مكتب الطبيب بعجب ورأسه تتلاطم فيها الشكوك، فقد ظن إنه مجرد إغماء طبيعي وستفيق بإحدىٰ الطرق المعرفة إلا إنها لم تستجب فأخذها إلى المستشفى إلا أن حالة الطبيب الذي باشر بفحصها لم تكن مطمئنة وطلب منهم ضرورة إجراء بعض الفحوصات التي لم تستغرق وقت وظهرت نتائجها فورًا حسب تعليمات الطبيب الذي بدىٰ التوتر جاليًا على قسماته وطلب منهم سرعة الحضور إلى مكتبه.

ـ طرق الحج " مرتضىٰ" الباب فإذن له الطبيب بالولوج فهتف الطبيب بنبرة عملية مشفقة:

ـ هى الآنسة " آية " كانت بتشتكي من حاجة قبل كده.

ـ نظرت إليه " تحية " بضيق وهتفت بتأفف:

ـ في يا دكتور هو أحنا هنسحب منك الكلام.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ توجت إليها أنظار الطبيب الضائقة زرعًا منها فأردف بضيق أشد:

ـ الآنسة جالها عمىٰ نفسي.

ـ نظر كلاهما إلى الطبيب ببلاهة فهتف الحج " مرتضىٰ " بعدم فهم:

ـ يعني إيه؟ مش فاهم قصدك.

ـ خلع الطبيب نظارته الطبية وأردف بتفهم:

ـ من الواضح من الفحوصات أن الآنسة اتعرضت لضغط عصبي شديد أدىٰ إلىٰ إصابتها بعمىٰ مؤقت بمعنىٰ إننا مش عارفين هيروح أمتا ممكن يكون لمدة ساعات أو أيام أو شهور في حالات اللي زي ديه أحنا بننصح بتدخل طبيب نفسي لأنها سليمة جسديًا.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ لطمت " تحية" على خديَّها ولكن ليس حزنًا على ابنتها بل خوفًا من الفضيحة وما يترتب عليها أول ما ذهب إليه ذهنها هو فسخ تلك الزيخة فهتفت بغير تصديق:

ـ يا لهوي هنقول للناس إيه البت هتروح مستشفىٰ المجانين مش كفاية وكستها تتوكس أكتر، أعمل فيكِ إيه يا جلابة النصايب منك لله يا شيخة أدعي عليكِ بإيه.

ـ نظر إليها الطبيب باستنكار؛

ـ أهذه أم؟ أي أم تلك!

ـ أيشغلها الناس ولا يعنيها أن ابنتها فاقدة لضوء عينيها؟!

ـ بالله ما الذي تهزي به تلك الحمقاء؟!

" قساه القلوب لا لوم عليهم بل شفقة تجوز لهم ".

ـ هتف الطبيب بإستنكار وبحدة:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ في إيه يا مدام مستشفى مجانين إيه؟! التعب النفسي زيه زي التعب الجسدي محتاج دكتور يعالجه وأنا مقلتش إحجزيلها سرير في معمورة، كل ما هنالك أنها تقعد فترة في مستشفىٰ لأنها محتاجة عناية وهتمشي على كورس علاج لأنها ضعيفة جدًا ويجيلها دكتور نفسي يباشرها.

ـ أردفت" تحية " بنفس نبرتها الحادة:

ـ برضو فضيحة هى هتطلع ومش أنت قولت أنه ممكن يروح في أي وقت خلاص تطلع ولا دكتور نفسي ولا...

ـ ضرب الطبيب بقوة على مكتبه وهتف بحدة:

ـ هو إيه اللي تطلع بقولك حالتها حرجة ولازم تتعالج أنتِ إيه أنتِ أم أنتِ.

ـ تصاعد الدماء في رأسها وتطاير الشرر من مقلتيها وما كادت تتحدث إلا استوقفها زوجها وأردف بصرامة موجه حديثه إلىٰ طبيب:

ـ أعمل يا دكتور اللي شايفه مناسب وأنا هسيب فلوس في حسابات ورقم تليفوني بلغنا لو جد جديد في حالتها أحنا هنمشي دلوقتي.

ـ نظر الطبيب إليها بغير تصديق ما هذان الأبوان أحدهما لا يهتم ويرىٰ أنه بنك مالي وما عليه سوىٰ توفير تلك الوريقات البالية والآخرىٰ لا تعبئ بأمر ابنتها التي في أمس الحاجة إلىٰ عنايتها وترىٰ لا حاجة لعلاجها أهم شيء مظهرها أمام الأخرين.

ـ هتف الطبيب بضيق:

ـ تقدروا تتفضلوا.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ في سيارة الحج " مرتضىٰ"، هتف زوجته بغيظ:

ـ أنت إزاي وافقت على تخاريف اللي الدكتور الزفت ده قالها، أنت مش خايف على شكلك قدام خواتك والناس يقولوا علينا إيه.

ـ رد عليها بحدة بالغة وعلا صوته بنرفزة:

ـ كنتِ عايزاني أعمل إيه دكتور بيقول حالتها خطيرة، مشوفتيش طريقة كلامه عاملة إزاي زي ما يكون بيتهمنا باللي حصل لها.

بيت الأدب

ـ نظرت إليه مستنكرة؛

ـ ما به الآن أحس بأنه والدها؟

ـ أليس هو من حذىٰ حذو القائلين

" اكسر للبت ضلع يطلعلها أربع وعشرين " أتراه يتراجع؟!

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ ما الفائدة من التراجع عمَّا اتخذه مذهبًا لهم بل يجب المُضي فيما ذهبوا فيه لأنَّا تشعر ابنتهما أنهما رضخا لها.

ـ هتفت بحدة مزوجة بغضب وتحدي:

ـ أنت هتنخ ولا إيه، أوعىٰ تكون فاكر أنها باللي هتعمله ده هتشفي المرار اللي سمعناه من كله بسبب شكلها العكر، أنا هاين عليَّا أجرها من شعرها و حبسها في الأوضة ولا اسمع كلام يسد النفس من خواتك ولا أشوف نظرة تفشي في عيونهم اللي هيكلها الدود ديه دول لما يصدقوا عشان يكوشوا على فلوسك بس بعيد عنهم، يومين كده وهروح أخدها غصب عن أهل الدكتور الزفت ده.

ـ نظر إليها بصدمة لم يكن يدري بكم الكره الذي تكنه زوجته لابنتها فهو ظنها أنها ستموت قهرًا عمَّا ألمْ بابنتها وأنها ستحسن معاملتها وتعوضها عمَّا اقترفوه في

بوقار بيت الأدب Bouvar

حقها، لم يستطع النطق بكلمة وأكمل قيادة دون النطق ببنت شفة.

*****

في المشفىٰ تحديدًا في مكتب الطبيب المشرف على علاج " آية".

ـ قص الطبيب على مسامع الطبيب النفسي حالة " آية " وما استنتجه من حديثه مع والديها وقص عليه حوارهم كاملًا.

ـ عادي يا " زياد" مالك مستغرب، في أسوء من كده، أحنا بيتعرض علينا أطفال أقل من اتناشر سنة عندهم إنهيار عصبي وفقدين النطق في أغلب الأحيان.

ـ أردف بتلك العبارة " أحمد " الذي أشفق على حال تلك المسكينة الذي لم يعرف ما الذي أدىٰ بها الوصول إلىٰ

الهاوية، يذكر أنه في بداية عمله بهذا المجال كان أكثر من حال " زياد" من الاستنكار والتعجب بل في أحايين كان يصاب بنوبات اكتئاب بسبب ما يسمعه من المرضىٰ من شتىٰ المراحل العمرية ولكن الآن أصبح أكثر صلابة وأكثر قدرة عن فصل حياة المهنية عن حياته الشخصية ولكن لا تسلم الجرة كل مرة فهو إنسان أيضًا ذي مشاعر وقدرة على الاحتمال حتىٰ إن يستطع ألَّا يظهر ذلك كان يسخر من نفسه حين يقول:

" أحيانًا يحتاج الأطباء النفسيين إلى أطباء نفسيين يخرجوهم مما أصابهم من آلام الآخرين ".

ـ تنهد على مهلٍ وهتف بعملية:

ـ هى غرفة كام؟ أنا هبدأ معاه من دلوقتي عشان أشوف أبعاد الحالة.

ـ أومئ برأسه مؤيدًا وأردف بعملية:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ يكون أحسن أنا مش ضامن أمها الصراحة حاسس أنها ممكن تيجي تخدها غصب فنبدأ أحسن هى في غرفة ٤٤٠.

ـ تمام يا دوك.

ـ بقولك صح أختك مستنياك على عشا هنروح مع بعض أنا لسة ورايا شغل وشكلي هخلص متأخر المرادي مأكدة عليا لو مرجعتش بيك هبات في الشارع.

ـ هتف بتلك العبارة" زياد" زوج أخت " أحمد" الذي مات أبواه وصار لزوجته مثل ابنها هو أيضًا لا يعتبره شقيق زوجته بل أخ وصديق حميم له.

ـ أردف " أحمد " بمزاح:

ـ أنتم مزهقتوش مني ده أنا هعمل إقامة عندكم.

ـ عيب عليك أنت عارف أنها بتطمن عليك وأنت قدام عنها ونزهق من مين، يلا على شغلك ونروح مع بعض.

ـ ربنا يخليكم ليا ويهدي المجنونة اللي في بيت علينا.

ـ قهقه الآخر وأردف من بين ضحكاته:

ـ كان نفسي تسمعها آخر جملة ديه كان زمانك محكوم عليك بالأعمال الشاقة.

ـ هتف بمرح:

ـ ربنا يجعل كلامنا خفيف، يلا ياعم أنا ماشي سلام يا دوك.

*****

في منزل " آية " يحث أتت عمتها الكبرىٰ وهى والدة خطيبها الحقير وأتت عمتها الصغرىٰ وحضر أيضًا بناتهن

ليكيدن " تحية" التي حاولت الحفاظ على هدوءها بقدر المستطاع حتى لا تفعل ما لا يحمد عقباه

ـ هتفت " العمة الكبرىٰ " بمكر:

ـ أومال فين " آية" أحنا جاين عشان أصل يا حبة عيني " نادر" قالي أنها أتعمت بعد الشر عن بناتنا.

ـ جزت " تحية" علىٰ أسنانها فمن المؤكد أن زوجها هو من أخبرهم ليشمتوا فيها ولكن ليست من منْ يلوىٰ لها ذراع فأردفت بخبث:

ـ في مستشفىٰ هتتعرض على أكبر أخصائي عيون في مصر هيجي من ألمانيا بعد يومين، نقول إيه يا ختي العين فلقت الحجر كله باصص على قرشنا ولقمة عشنا ده الدكتور بيقولي أحمدي ربنا أنها جت على حد كده وممرضة إلهي تنستر قالتلي أروح أشوف شيخ شكل البت اتحسدت.

بوقار بيت الأدب

ـ نظرة إليها " العمة الصغرىٰ " بتهكم وأردفت بإستهزاء:

ـ ليه ياختي هتتحسد على جمالها ولا على جمالها أحنا عارفين اللي فيها.

ـ تصاعد الدماء في رأس " تحية" وهتفت بتعالٍ:

ـ لا ياختي تتحسد على العز اللي عندها خمس في وش العدو بكرة بعد عمر طويل للأملاك هتروحلها.

ـ هتفت " العمة الكبرىٰ" بغيظ وحقد:

ـ البت ملهاش غير جمالها وأنوثتها.

ـ الفلوس تشتري كل حاجة ودكاترة التجميل على قفا من يشيل.

ـ هتفت بتلك العبارة الكيدية " تحية".

بوقار بيت الأدب Bouvar

وظلت الجلسة بين مكر وخبث وحقد ولا أحد منهن أخذه القلق على تلك المسكينة الراقدة لا حول لا ولا قوة.

ـ "ما بال البشر ثقلت قلوبهم وتعاظم الخبث في نفوسهم فصاروا تبعًا لغرائزهم وشهواتهم".

ـ ظلموا الحيوانات بانتساب البشر لهم،

يا حسرتا أخذتهم الدنيا فعميت عقولهم قبل أبصارهم ونسوا قوله:

" لا تدري نفس ماذا تكسب غدا".

لا جمال يدوم ولا مال ولكن العمل الصالح.

*****

في المشفىٰ تحديدًا أمام غرفة " آية " طرق

" أحمد " الباب فسمع صوت وهن يأذن له بالولوج.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ خطىٰ " أحمد " بضع خطوات فوقف على مقربة من فراشها فهتف بصوت مطمئن يبث لها الأمان فقد رأىٰ الخوف على قسماتها التي أخذها الذبول والوهن:

ـ متقلقيش أهدي أنا " أحمد" هكون الطبيب النفسي المتابع لحالتك.

ـ كان الخوف يتأكلها لا يوجد سواها مع ذلك الغريب وأمها تركتها بمفردها، وغادرها النور وحبستها الظلمة في قاعها فلا حتى يمكنها رؤية ذلك الغريب أهو صالح أم طالح أيشبه خاطبها أم علَّه محترم!

ـ أخذت عَبَراتها في الهطول كالسيل الجارف وعلت شهقاتها فجأة فمنذ علمها بمرضها لم تزرف دمع فلما الآن؟!

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ أخذ جسدها في الإهتزاز وتشنجت عضلاتها، صرخ " أحمد " بصوت عالٍ مناديًا على أحدىٰ الممرضات لتأتي بحقنة مهدأة.

*****

بوقار
بيت الأدب

بوقار
بيت الأدب
Bouvar

الفصل الثالث

" فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"

" ـ أعمىٰ القلب أشد أم الأعين؟!

ـ أنحتاج إلىٰ أعين ناظرة أم قلوب باصرة؟!

ـ أيُرَىٰ الحب بأعيننا أم تبصره قلوبنا؟!

ـ أنحتاج لتحديق في أعين من نحب لنرىٰ حبه أم نبصر كونه ذلك الحب بأعين قلوبنا؟!

ـ صدق من قال:

ـ عمىٰ القلوب أشد وطأة من عمىٰ العيون.

ـ "ما حاجتنا لأعين لا ترىٰ إلا خبائث النفوس.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ لا نحتاج سوىٰ بصيرة قلوبنا إلىٰ ذلك النور الذي يهدي لنجدين.

« مر أسبوع ولم يحدث جديدًا ولم يتغير الوضع بل إزاد سوءًا فـ" آية " ترفض التجاوب مع " أحمد" الذي لم ييأس في محاولاته لإخراجها من صمتها بل لوهلة ظن أنها فقدت النطق إلَّا إن لتلك التؤهات التي تصدر منها من الحين والآخر كان لها رأي آخر، كان يراقبها ويراقب همساتها مع الممرضة التي صار وجودها ملاذ لـ " آية" لمساعدتها على قيام بأمورها التي أصبحت من العسير أن تقوم بها بمفردها بعد ما فقدت بصرها، كان يراقب سكانتها وانفعالاتها،كانت هادئة بشكل يوحي للإستسلام مما جعله في ثوره من أمرها؛

ـ فكيف تحبذ أن تظل هكذا؟!

ـ ولِمَ هى مسالمة هكذا؟!

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ وكان أكثر ما يلح عليه ذلك السؤال الذي يتردد في ذهنه؛

ـ لِمَ لم تأتي والدتها لرؤيتها كل تلك المدة؟!

ـ أليس لها أقران يخافون عليها ويودون رؤيتها فلِمَ لم يأتوا لها فهىٰ في أمس الحاجة لهم؟

ـ أهىٰ وحيدة أم تعاني من الإنطوائية المفرطة؟!

ـ سيجن حقًا من كل تلك التساؤلات التي تتخبط في رأسه من الحين والآخر عليه أن يجد طريقة ليحادثها.

ـ عزم أمره على الحديث معها وإن كان رغم أنفها.

ـ طرق الباب بأدب يستأذن لدخول فهتف بهدوء:

ـ السلام عليكم ورحمة الله، ممكن نكلم شوية.

ـ عقدت حاجبيها بضيق ولم تعقب وبل أكتفت بنظرة الوجوم التي كست وجهها.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ استغل ذلك الصمت لصالحه ولم يعطِ لوجومها أي أهمية وجلس بالقرب منها وهتف بمكر:

ـ يبقىٰ السكوت علامة الرضا.

ـ أحتد صوتها وهتفت بضيق:

ـ لو سمحت اتفضل برة مش عايزة أكلم.

ـ نظرة لها بتحدٍ وأردف بتحدٍ:

ـ يبقىٰ أنا اللي هكلم...

ـ قاطعته بحدة:

ـ وأنا مش عايزة اسمعك اتفضل.

ـ زفر على مهلٍ وأردف بتحدٍ أكبر:

ـ بصي بقىٰ أنا خلصت الشغل اللي ورايا الأسبوع اللي فات وفضيتلك يعني مفيش غيرك ورايا وأنا بقىٰ مفيش أرخم مني فأنتِ هتكلمي يا بذوق يا ألَّا هزهقك وبرضو

بوقار بيت الأدب Bouvar

هتكلمي فاكلمي أحسن ونوفر بنزين لأننا هنحتاجه شكلنا بعدين أشطا.

ـ تجلت الصدمة على قسماتها بوضوح وهتفت باستنكار:

ـ في دكتور يقول أشطا!، وإيه الطريقة ديه يعني هتخليني أكلم بالعافية.

ـ تحدث بأريحية:

ـ هو دكتور ده مش إنسان في الأول والآخر يكلم بالطريقة اللي تعجبه طالما متعداش حدود الأدب والذوق، والله لو بالعافية عشان مصلحتك فأه، أنا هخليكِ تكلمي بالعافية.

ـ هتفت بشرود:

ـ بس كده هيقولوا عليك أنك مش مودرن ولا عندك لاباقة...

ـ قاطعها بهدوء فقد وصل لمبتغاه وها هىٰ تتحدث:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ مش مهم رأي اللي قدامك فيكِ طالما مش بتعملي حاجة غلط، نفضي.

ـ قاطعته بنفس الشرود:

ـ إزاي مش مهم وهما كلهم رأي واحد.

ـ تبسم بود وهتف:

ـ "يجتمع الناس على الباطل كاجتماع النمل على قطعة من السكر ".

ـ مش ممكن يكونوا صح وأنت اللي غلط.

ـ أنتِ بتقيسي الغلط والصح من كلام الناس، .

ـ أه قصدي مش كده بس...

ـ الموضوع مفهوش بس، أنتِ كده عايشة حياتك زي عرايس الماريونت.

ـ زفرت بتعب وهتفت بألم:

بوقار Bouvar بيت الأدب

ـ لو مكنتش كده السد هيعلا أكتر وكتر هتكون شفاف هتكون عايش على هامش حياتهم.

ـ أردف بتحدٍ:

ـ" لأعيشن على هامش حياة الآخرين أفضل من أكون عروس ماريونت".

ـ هتفت بألم:

ـ بس بنحتاج ليهم بنحتاج يكون عندنا ناس بتحبنا بتخاف علينا...

ـ ولاقيتي بطرقتك ديه.

ـ حركت رأسها بالنفي فاستكمل حديثه:

ـ اللي بيحبك هيحبك بشخصيتك مش هيفرض شخصيته عليكِ عشان يحبك ويكون جنبك، ده مش حب ده تحكم فرض سيطرة بدون مبرر...

ـ حتى لو كان أقرب الناس لك؟

ـ هتف بتحدٍ:

ـ حتى لو أقرب الناس تعرفي ليه لأن الفرق بين الخوف عليكِ وسلب شخصيتك طفيف لدرجة أن أغلب الناس عندها خلط بينهم وشايفن أن الاثنين حاجة واحده بل العكس تمام رغم التشابه وأن الفرق طفيف بس الفرق ده يوصل لسابع سما وينزل بكِ لسابع أرض.

ـ كان سكوتها حافزًا له لاستكمال حديثه:

ـ أخاف عليكِ يعني أقولك على الصح والغلط وأسيبك تختاري

يعني أختلف معاكِ وتقبل أختلافك مش أرفضه وأشوفه غلط وأنه ملهوش أي قيمة وأن المكان المناسب ليه

بوقار بيت الأدب Bouvar

البسكيت وإن كانوا كما يزعمون أنهم خايفين مش مسيطرين كانوا عملوا بمبدأ شوقي:

« أختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

تتناقش مع بعض مش أكون الطرف الأوحد المتحدث وأنتِ عليكِ السمع والطاعة سواء كان كلامي ده صح أو غلط المهم يتنفذ بحزفيره، رسول قال:

«لا طاعة لمخلوق في معصية ».

ـ تقدري تقوليلي استفدتي إيه وأنتِ عايشة حياتك على كلام الناس.

ـ هتفت بإنكسار:

ـ ولا حاجة غير سكوت، كتمان، نفور، تنمر،اتهاض، ألم، انكسار، وجع.

ـ نظرة إليها ماليًا فقد أدرك أنها تحمل بين جبعتها الكثير والكثير فهتف بهدوء:

ـ بس أنتِ السبب.

ـ هتفت بحدة وقد علا صوتها بتهكم وألم وقد شقت الأدمع طريقها لوجنتها:

ـ السبب في إيه بالظبط؟

ـ السبب أنهم ينفروا مني بسبب شكلي هو أنا اللي أخترت شكلي؟!

ـ أنا اللي غلطانة أني بسمع كلامهم بدون مناقشة عشان مخسرهومش وبرضو خسرتهم؟!

ـ أنا السبب اللي خليت ابن عمي يخطبني غصب وأنا اللي رشيته عشان ميسبنيش وفي الآخر يخوني ويضربني وكمان يهددني.

ـ أنا السبب اللي خليت أمي بتكرهني وأبويا يتمنىٰ يخلص مني.

ـ تقطع صوتها وهتفت بألم وعَبَراتها تغمرها:

ـ ءءءأنا ذنبي إيه، ليييييه، ليييييه.

ـ نظرة لها بألم ولا يعلم لِمَ ولكن حاول حديث بهدوء:

ـ ممكن تهدي...

ـ قاطعه بحدة بالغة:

ـ لو سمحت أطلع برة.

ـ أنا مكملتش كلامي...

ـ صرخت بقوة وكأنها تفرغ شحنة الغضب والألم التي كانت تخمدها:

ـ باااررررة مش عاااايزة أكلم.

ـ فزع من صراخها المفاجئ وندا على ممرضة لتأتي بحقنة مهدأة إلا أن صراخها فيه أوقفه وبدأ صوتها بالإنخفاض تدريجًا:

ـ مش عاايزة الزفته ديه تاني مش عايزة أنام كرهت النووووم حرام عليك ليه بتعمل كده ليه بتجبرني مش أنت مش بتحب طريقة ديه.

أنهت جملتها وسقطت مغشيًا عليها، بهت أمامها وسرعان ما استعاد وعيه وطلب " زياد" ليقوم بالأمر بدل منه وطلب منهم ألَّا يعطوا لها مهدأ.

*****

ـ خرج من عندها بنصف عقل وسرعان ما تذكر أن والدها سيأتي اليوم لإستكمال حساب المشفى فأسرع نحو الحسابات فلن يترك تلك الفرصة دون الإستفهام منه.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ ولج الحج " مرتضىٰ" بخطى ثقيلة نحو مكتب الحسابات فكم يستثقل الأمر ليس أثقال مادية بل شعوره بالذنب المضني الذي لاحقه وتلك الذكريات التي تلاطمت في رأسه وشعوره بالذنب اتجاها.

ـ الحج " مرتضىٰ " كويس أني لاقيت حضرتك.

ـ نظر له بإستغراب وهتف بغرابة:

ـ مين حضرتك؟.

ـ أنا دكتور " أحمد" المسؤل عن العلاج النفسي لآنسة " آية".

ـ بلع ريقه بضيق:

ـ أقدر أساعد حضرتك إزاي أنا دفعت مصريف الع...

ـ أنا عايز حضرتك خمس دقايق في مكتب.

ـ مش هينفع مشغول.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ نظر له بحدة:

ـ حتىٰ ده لو هيخص علاج بنتك.

ـ ارتفع صوته قليلًا وهتف بعصبية:

ـ أنا قولت سيبت فلوس في خزنة المستشفى باسمها...

ـ قاطعه بحدة وهتف بغضب:

ـ هو حضرتك فاكر أن كل الأدوية بتشرىٰ بالفلوس، لي معلوماتك الحنية مش بالفلوس تقدر تقولي إيه اللي يعطلك طول الأسبوع اللي فات أنك مزورش بنتك، تقدر تقولي والدتها فين؟

هان عليكم تسيبوا بنتكم وهى في الحالة ديه لوحدها، عارف يعني إيه عندها عمى نفسي يعني فلوس حضرتك ديه مش هيجبلها علاج يداويها، لأن علاجها للأسف أنتم علاجها تحس بحبكم زي ما حسستوها بكرهكم علاجها

بوقار بيت الأدب Bouvar

تحس بقمتها زي ماخلتوها تحس إنها منبوذة علاجها تحس بالأمان زي ماحسستوها بالوحشة والغربة بينكم علاجها تحس إنها جميلة في عيونكم علاجها تحس بالثقة في نفسها،عرفت علاجها إيه.

ـ أنهىٰ " أحمد" حديثه وتركه في صدمته وأفكاره التي أطاحت به إلى قاعٍ سرمدي.

*****

ـ في منزل عمة " آية " الكبرىٰ وحماتها المصون، هتفت بمكر تحادث ولدها:

ـ لازم تروح يا " نادر" تزورها عشان تبان قدامهم أنك مهتم بيها.

ـ نظرة لها بصدمة:

ـ أنتِ عايزاني أروح لها ده ما صدقت خلصت منها.

ـ تخلص من مين يا عنيا أنت هتخيب ولا إيه ده الوقت مناسب اللي تلعب عليهم، عشان تبان قد إيه أنت بضحي عشانها وأنت بتحبها.

ـ دول لما يصدقوا أنتِ عايزاني أجوز واحدة عامية مش كفاية أنها زي الشويش عطية.

ـ عامية بس عندها فلوس تشتريك أنت وأبوك، جاريهم دلوقتي وأنا برضو أرضي لك بوحدة زيها أنت بس تلاعبهم لحد ما تتمكن وعمك يديك الآمان ويبدأ يكتبلك المحلات باسمك وبعد كده أخلع ولو أتحكم الأمر أنك تكتب عليها أكتب وشرع محللك أربعة.

ـ نظر لها بمكر:

ـ دماغ متكلفة، دخل دماغي.

ـ ابتسمت بخبث:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ ياريت ياخويا كنت طلعتلي مش زي أبوك خايب، قوم هز طولك وروح ليهم قبل ما معاد الزيارة يخلص.

ـ طيب.

*****

بوقار
بيت الأدب

بوقار Bouvar بيت الأدب

الفصل الرابع

ـ أنحتاج أكثر من الحب لنحيا؟!

ـ ألاٰ ترون أن أبانا لم يكن ليصمد على ضناكة الدُنا لولا حواءه!

ـ أليست تلك الحياه الدنيا موحشة بدون خليلٍ أنيس؟!

ـ تمتلكنا جميعًا غريزة التملك، سرقة لب من نبض باسمه فؤادنا!

ـ وعجبي من منْ يدعي غير ذلك!

ـ أينكر فطرة الله؟!

ـ خلقنا الله ذكرًا وأنثىٰ وجعلنا قبائل وشعوب لنتعارف وتآلف وليس لإنكار أننا لسنا بحاجة إلى شطرنا الآخر.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ خلقنا الله نقائص أفئدة ليكمل كل منَّا فؤاد الآخر لنحيا بين قلبين

ـ أتىٰ يوم جديد يحمل بين طياته الكثير والكثير فاليوم لن يتركها " أحمد" لتنهار مرة أخرىٰ لن يدعها تبكي ثانيًا على أطلال آلمها.

ـ توجه مباشرًا إلى غرفتها فوجد بابها مفتوح وتجلس أمام الشرفة بشرود لم تنتبه هى لوقع أقدامه التي صارت قريبة منها فحمحم بخوت ليثير انتباها فالتفتت إليه بخضة بادية على قسماتها فأردف مطمئنًا إياها:

ـ إحم أهدي ده أنا " أحمد".

ـ اعتراها الغضب والعبوس في آن واحد وهتفت بحدة بالغة:

ـ لو سمحت اتفضل برة.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ نظرة بمكر مرح وجلس على الكرسي المقابل لها وهتف بأريحية:

ـ يزيد فضلك يا بنتي ده أنا من صباحة ربنا بلف على كعوب رجلي.

ـ نظرت له بصدمة وهتفت بغضب:

ـ أنت قعدت.

ـ أردف بمرح متجاهلًا نبرتها الغضبة:

ـ أومال الكلم وأنا واقف مش بقولك رجلي وجعاني لدرجة ديه مفيش رحمة ولا شفقة.

ـ تسللت بسمة خافته إلى شفتيها ولكن سرعان ما أخفتها ولكنه رأها وراقت له كثيرًا فهتف بخفوت ولكنها سمعته:

ـ يخربيت جمال ضحكتك يا شيخة.

ـ هتفت بحدة بعدما بلغت صدمتها من جملته الآخيرة:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ أنت قولت إيه؟

ـ بلع ريقه بتوتر وأردف بعدم فهم مصطنع:

ـ أنا، أنا مقولتش حاجة أنتِ قولتي حاجة.

ـ هتفت بغرابة:

ـ لاء طبعًا، ماشي اتفضل اطلع برة.

ـ تجاهل حديثها وهتف بهدوء مرح:

ـ تشربي عصير.

ـ أنت مستفز.

ـ هتف بمرح:

ـ ديه سؤال.

ـ نال منها غيظ فهتفت بحقن:

ـ واخد دكتراه فالإستفزاز.

ـ شكرًا شهادة أعتز بيها.

ـ حتقن وجهها وهتفت بغيظ:

ـ يا ربي هتشل.

ـ أردف بمزاح:

ـ لا مش لدرجة أنا برضو حُنين، ممكن اسألك سؤال.

ـ لاء.

ـ أردف بتحدٍ:

ـ تمام يبقىٰ اسأل وأنتِ هجاوبي بكل صراحة وأنا عارف أن البنات الشاطرة بتسمع الكلام...

ـ قاطعته بغيظ ثم تغيرت نبرتها لتهكم:

ـ على فكرة أنا قولت لاء، وإيه البنات الشاطرة بتسمع الكلام شايفني بنت أختك!

ـ هتف مستفزًا إياها:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ هى عندها " مالك" معندهاش " آية" وعد البيبي اللي جاي هيكون على اسمك ولا تزعلي.

ـ لاااا بجد أنت مستفز، استغفرالله.

ـ تحولت نظارته إلى جدية تامة وهتف بهدوء:

ـ ليه مش حاسس أنك نفسك ترجعي تفتحي تاني حاسس أنك عايزة تفضلي كده لدرجة ديه معندكيش شغف اتجاه أي حاجة!

ـ هدأت انفعالتها واكتسىٰ وجهها بالحزن لم يغيب عليه نظرة الإنكسار التي جلت بوضوح في بؤبؤة عينيها فأردف بصوت هادئ:

ـ ليه مستسلمة...

ـ قاطعته بصوت ينزف ألمًا:

ـ تصدقني لو قولتلك لاء مش عايزة افتح مش عايزة تاني أشوف نظرة الكره اللي فعيون أمي مش عايزة أشوف نظرة النفور في عين قرايبي مش عايزة أشوف نظرات الخبث والمكر في عين خطيبي مش عايزة أشوف نظرة الندم في عين أبويا تحب أكمل ولا كفاية.

ـ نظر لها بتيه كم يألمه ألمها لا يعلم لما ليست هذه المرة الأولى التي يرى مثل تلك الحالات، كم يود لو بإستطاعته أن يضمها إلى صدره يخبئها بين ثنايا أضلعه.

ـ كم يود أن يرىٰ بسمتها التي تخفيها منه!

ـ كم تزعجه كلمة خاطبها تلك يشعر أنه يود أن يفتك بذلك المزعوم على آذيته لها.

ـ لو كانت بملك يُمناه لكان محىٰ تلك الآلام الناخرة في نياط فؤادها وتلك الندوب المثخنة.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ آفاق عند تلك العبارة الشاردة ونظر لها بتمعن وهتف بهدوء:

ـ " بين ركام الأوجاع تكمن السعادات المخبئة "

ـ استكمل حديثه بنفس النبرة الهادئة:

ـ أكيد نفسك في حاجة تعمليها.

ـ نظرت له بشرود:

ـ ياا أنا كلمة ديه مسمعتهاش من زمن، أنا عمري ما عملت حاجة نفسي، كنت دايمًا بعمل اللي هما عايزينه عشان بس أشوف نظرة حب في عينهم وبرضو مكنتش بلاقيها، حتى الحاجة الوحيدة اللي كان نفسي فيها اتخليت عنها عشان أمي.

ـ نظرة لها مشجعًا إياها على الإستكمال فأكملت بغصة:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ كان نفسي أدخل تربية طفولة أمي لما عرفت كده زعقت ليا جامد وحلفت أني لازم ادخل تجاة إنجلش، دخلتها ومزعلتهاش كنت بذاكر ليل نهار عشان أجيب تقدير عالي وأفرحها بس غصب عني أنا عملت اللي عليا ومجبتش غير جيد جدًا والله مش بإيدي أنا اظلمت طلبت منها نعمل إعادة تصحيح عشان اثبت ليها رفضت واتهمتني بالفشل وأني مش نافعة في حاجة وبعدها...

ـ سكت تألمًا لما هوآتٍ في حديثها فهتف محثًا لها على الإكمال:

ـ وبعدها إيه؟

ـ سحبت نفسًا عميقًا هتفت بألم:

ـ حكمت عليا هى وبابا أني أتخطب لابن عمتي،عشان...

ـ توقف ولم تستطع الإكمال وتسرب الدمع لمقلتيها،

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ كيف تخبره أنهم يرونها دميمة يزهد فيها كل من يراها؟

ـ كيف لها أخباره بأحاديثهم اللاذعة عنها؟!

ـ أتشكو له كم عانت من كلمات والدتها التي كالخناجر السامة؟!

ـ أتخبره بفظاظة حديث أقرانها عن هيئتها؟!

ـ أتخبره عن حديث والدها عن تقدم ابن عمتها لها كم يراه عمل بطولي ويستحق الثناء عليه؟

ـ قاطعها بحنو:

ـ وليه سكتِ ارفضي مهما كانت العواقب.

ـ نظرت له بضياع:

ـ أنت متعرفش حاجة،متعرفش ممكن يعملوا إيه!

ـ نظرة لها بتمعن:

ـ هيرغموكِ على جواز متعرفيش أنه ساعتها هيكون باطل، خوفك ده مش صح.

ـ هتفت بحدة:

ـ عايزني اتحداهم، عايزني أخسرهم أكتر...

ـ ده مش تحدي ده حقك، ديه حياتك وده شرع ربنا وأظنك مش قاصر.

ـ أردفت بعدم استيعاب:

ـ يعني إيه؟

ـ تنهد على مهلٍ وأردف بتروٍ:

ـ اتعلمي تقولي لاء، مش كل حاجة حاضر وطيب فين رائيك، بلاش تكون ضعيفة أنتِ قوية،و مش معنى كلامي أنك تتمردي، وميهمكيش كلمة حد، اتعلمي أن حياتك الشخصية أنك تخدي قرارتها بنفس عشان تتحملي

بوقار بيت الأدب Bouvar

العواقب أو تفرحي بنتايج وكلامي مش معناه متسمعيش رأي الي قدامك، الرأي اللي قدامك على عينك وراسك تخديه بعين الإعتبار وتدرسي رائيك ورائيه من كل الجوانب وممكن تستشيري طرف تالت واعملي بقوله تعالىٰ " وأمرهم شورىٰ بينهم"، ها شورىٰ يعني محاورة وكلام مش فرض رأي بدون مبرر.

ـ نظرت له بتيه،

ـ ماذا لو كانت رأته من قبل؟

ـ أكانت لتغدوا حياة أفضل؟!

ـ ماذا لو كان لديها أخ مثله؟

ـ لِمَ والدها ليس متفهم مثله، أهو كذلك بسبب عمله؟!

ـ لا يعقل أكيد هناك مثله وليس هناك علاقة بالعمل، الأمر متوقف على شخصية المتحدث وعقليته وإيضًا ثقافته.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ هتف بهدوء:

ـ ممكن أطلب طلب؟

ـ شجعه صمتها فأكمل:

ـ هاتِ دبلتك!

ـ تجل العجب على قسماتها وهتفت بغرابة:

ـ نعم، ليه

ـ نظرة لها بتمعن وأردف بصوت هادئ:

ـ تعرفي يوسف السباعي قال جملة عمري ما نسيتها أبدًا حاططتها زي ما بيقولوا حلقة في ودني.

ـ استطاع استمالتها وإثارة فضولها فهتفت بعجب:

ـ هيه إيه؟ وإيه علاقتها بالدبلة.

ـ " حقًا ما ظنتت قط أن الإنسان يمكن أن يخنق من إصبعه"، أظن عرفتي العلاقة.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ سحبت الدبلة من بنسرها بهدوء وهتفت براحة لا تعلم مصدرها ولكن ظهرت على محاياها:

ـ تعرف كنت فاكرة نفسي ببالغ لما كنت بقول حاسة أن روحي انسحبت أول ما لبست دبلة ديه تعرف أنا دلوقتي حاسة أن الروح اتردت فيا بجد مش ببالغ، ياا نفسي أوي أرميها في وشه ونفسي أكتر أشوف شكله هيكون عامل إزاي، تعرف أنا مزعلتش أنه خاني زعلت بس أن أمي وأبويا شايفينه محترم وهو...

ـ ديوث عشان كده بقولك أقلعي دبلته، على فكرة أنتِ دلوقتي عندك هدف عشان تفتحي.

ـ تحولت أنظارها لغرابة وهتفت بهدوء:

ـ امممم ممكن...

ـ قاطعها بحزم:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ مفيش ممكن أنتِ لازم تعززي منطقة اللاوعي عندك عشان مخ الباطن يتحفز عنده الأمر حاولي وده مش طلب ده أمر، على فكرة أنتِ أكيد نفسك تفتحي تعرفي ليه؟

ـ نظرت له بغرابة من أسلوبه كيف يدمج بين الجد والمزاح في آن؟

ـ كيف يجمع صوته بين الحنو ومرح والحزم في آن واحد؟

ـ ماذا عن نظراته هى كذلك، شردت عن تلك النقطة وودت حقًا لو يمكنها رؤيته؟

ـ دون وعي منها ابتسمت، فطن هو تلك البسمة الهادئة التي زينت ثغرها فهتف بمرح:

ـ إيه ده أنتِ عندك سنان.

ـ رفعت حاجبها باستغراب فأكمل بنفس مرح:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ وأنا اللي كنت فاكرك مسوسة عشان كده مش بتضحكي.

ـ إزادات ابتسامتها بينما أكمل بجدية:

ـ حاولي تبدأ صفحة جديدة مع نفسك، امسكي ورقة وقلم واكتبي مميزاتك وعيوبك وتقبلي عيوبك وابدأ عالجيها، على فكرة أنا شوف الورقة ديه.

ـ أنت بتكلم جد، ده هيفدني فيه إيه، مينفعش الإنسان يحكم على نفسه لأنه مش هيبين عيوبه وطبيعة الإنسان أنه عنيد وهبرر الغلط صح ويمكن كمان ميعترفش بعيوبه.

ـ أولًا بكلم جد، ثانيًا وليه الإنسان ميحكمش عن نفسه الإنسان السوي يقدر يعمل كده الإنسان اللي عايز يحسن من نفسه وعلاقته بذاته هيعمل كده أما اللي أنتِ بتقولي عليه ده إنسان أناني حتى على نفسك، مفيش حد معندوش عيوب ومش معنى أنه عنده عيوب يبقىٰ فاشل

بوقار بيت الأدب Bouvar

أو وحش، الفاشل اللي بيكابر نفسه قدام نفسه لأنه عمره ما هيتقدم خصوة لقدام الوحش فعلًا اللي شايف نفسه هو الملاك الوحيد والكل عنده شياطين بالرغم أننا عارفين مفيش إنسان كامل وعارفين أن كل بني آدم عنده جانب شر جواه " النفس الآمارة بسوء" مفيش عيند ولا مكابرة في كده لأنه تكوين إلهي، عشان كده لازم توقفي قدام نفسك وتتعرفي عليها وتحاولي تروضيها وتحاولي دايمًا أن جانب الشر ده يقل وأنك تتغلبي على نفسك الآمارة بسوء، لازم تعرفي أنك عمرك ما هترتقي بنفسك لو مشوفتيش عيوبك قبل مميزاتك، كفاية كده عليكِ انهردة وبليل هعدي اطمن عليكِ وشوفك بدأتي ولا كسلتي، صح كنت هنسىٰ أنا عارف أنك مش بتعملي حاجة طول النهار وأكيد زهقانة فحملتلك مكتبة صوتية على اللاب فيها مجموعة كتب هتفيدك وعايزة تبدأ بكتاب

بوقار بيت الأدب Bouvar

" سر النجاح" لإبراهيم الفقي، وهتنقشيني فيه بكرة يلا سلام أشوفك بليل.

ـ كانت تصغي له بإنصات شديد كأنها طالبة وهو أستاذها يملي عليها ما تفعله وما لا تقترفه ابتسمت في قرارة نفسها وهمست بخفوت " ليس سيئًا كما تصورت "، ولكنه مستفز يثير أعصابي ببرودته.

*****

بوقار
بيت الأدب

بوقار Bouvar بيت الأدب

الفصل الخامس

ـ ولِمَ لا نزهد في عقولنا ونحررها من أسر تلك الهواجس المؤلمة؟!

ـ كم من المراتِ أُعْمِيت قلوبنا؟

ـ فلِمَ لا نعمي تارة عقولنا؟!

ـ أغمسنا عقولنا في كل شيء؛ فأفسدت كل شيء.

ـ ألاٰ يحق لنا درب الجنون مذهبًا!

ـ " بعض الجنون عقلًا وإن كذبوا ".

ـ أيمَّا الطريقين سلكت أولًا، فلن تغشاك المنية إلا وأنت قد قادتك قدماك عنوة إلىٰ الطريق الآخر أيضًا.

ـ صباح يوم جديد يحمل بين ثناياه الكثير والكثير، يحمل أمل لأحد وألم لآخر فرحة لأحدهم وحزنًا للآخر، أو يكون

نقطة تحول لمجرى حياه أحدهم أمضىٰ حياته بين القيل والقال، أو يكون كدلو ماء بارد على رأس أحدهم يُقظه من غفوته، ولكن...

ـ هل سيستيقظ حقًا؟!

ـ أم سيكون أضل سبيلًا من الأنعام!

ـ في تمام الواحدة ظهرًا، حيث تجلس" آية " على الآريكة المقابلة لسريرها وقد بدىٰ عليها الشرود، تمتلكها الآن رغبة جامحة في إنهاء تلك الزيجة البائسة.

ـ وليس ذلك فقط بل ترغب أيضًا بالإنتقام من ذلك الوغد على إهاناته السابقة لها ترغب في تلقينه درسًا قاسيًا لن ينساه وليس هو فقط بل من كل منْ ألقىٰ بها إلى تلك الهاوية وادعىٰ خلاف ذلك.

ـ وستبدأ بنفسها!

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ كما أخبرها " أحمد" سابقًا.

ـ كانت فيما مضىٰ لقمة سائغة، سهلة المدغ. ولكن...

ـ يبدوا أنهم نسوا أن رشفة الماء قد تودي بأحدهم.

ـ لن تلوم نفسها على تسامحها مع الجميع وطيبة قلبها ولكن يقع اللوم على انقلاب تلك السماحة استسلام وطيبة سذاجة، سيرون الجانب الآخر لها.

ـ انتشلها من شرودها تلك طرقات الطالبة الولوج لها حسبتها له ولكن ظهر آخر وجه تريد رأيته الآن وليس ذلك فقط فقد اصطحب معه أحد أهم العوامل الهادمة لها.

ـ قطبت وجهها واحتدت قسماتها ولم تنطق ببنت شفة، فحمحم الواقف بضيق:

ـ احم احم أخبارك إيه دلوقتي.

ـ تنهدت بضيق تريد أن ترى ماذا تفعل؟

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ حان الآن وقت المواجة.

ـ احتد صوتها وهتفت بغضب:

ـ أطلع برة...

ـ قاطع حديثها صرخة تلك الواقفة أمامها ولم تكن سوى والدتها التي هتفت بحدة بالغة لا تليق بأم ملكومة على ابنتها الوحيدة:

ـ باااات احترمي نفسك واكلمي مع خطيبك عدل شكل قاعدتك هنا علمتك قلة الأدب.

ـ بنفس النبرة المحتدة أردفت " آية" وهى تلتقط ذلك الخاتم من جانبها وألقته في وجه أمام أعين والدتها المصدومة الغاضبة:

ـ كده مش خطيبي وتفضل دلوقتي تطلع بكرامتك بدل ما طلع من غيرها.

ـ دنت منها والدتها بغتة ولطمتها على وجهها بقسوة وهتفت بغضب العالم أجمع:

ـ ديه آخرة دلعي فيكِ أنتِ فاكرة نفسك مين يا بت أحمدي ربنا ياختي أنه ردىٰ بيكِ، قومي اعتذري على الهبل ده وبوسي جزمة خطيبك يا إلا هتشوفي اللي عمرك مشوفتيه.

ـ وقفت " آية" وهى تضع يدها على خديها المصفوع بيد لم تكن حانية عليها من قبل لم تكن متفاجئة برد فعل والدتها ولكن حسبته محض احتمال ضئيل، اقتربت منهما وحدقت بقسوة وللعجب رأتهما رأت تعبيرات ذلك البغيض المتهكمة وقسمات والدتها القاسية وعيونها التي تشع غضبًا رأت تلك الشماتة الجالية في أعين ذلك الوضيع، هتفت بحدة وبنرة عالية تطوي بين اهتزازاتها القساوة:

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ هههههههه تصدقي ضحكتيني، أنتِ فاكرة هخاف منك، فكراني هسكت ولا مكونيش فاكرة أني هرضىٰ أكمل مع واحد واطي زي ده...

ـ قاطعها تلك المرة يده إلا أنها كانت أسرع منه فبتعدت عن مرمىٰ يده وهتفت بقسوة:

ـ لاااا أبعد أيدك القزرة ديه عني، لو كنت فاكر أن الواقفة ديه القدامك هى هيه اللي لوميت دراعها تبقىٰ حمار تعرف والله ظلمته هههههه أنت ديوث ومكانك مش هنا أنت هتشرف قريب في تخشيبة...

ـ لاااا أنا ساكتلك من أول ما دخلت أنتِ فاكرة نفسك مين يا روح... أوعي تكون فاكرة نفسك، الجو ده ميكولش معايا جو القطة اللي طلعلها ضوافر وتخربش أنا أفرمك تحت رجلي.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ تقدمت منه وعلى حين غفلة دهست قدمه بقدمها وأمسكت دبوس من خمارها وغرزته بقسوة في خديه فصرخ الآخر متألمًا:

ـ وجعتك صح تعرف لو أطول أكلك بسناني كنت عملت، صرخت بقوة:

ـ مش أنا اللي أشتم لاااا كان زمان وجبر وربي اللي محلفتش بيه قبل كده كذب لأندمك على كل كلمة...

ـ أبعدتها والدتها المصدومة عنه وهتفت صارخة:

ـ فيييي اااايه ياختي فاردة ريشك علينا لاااا مش " تحية" اللي بتها تعلي صوتها عليها أنا أكسرك هنا...

ـ قاطع حديثها قهقهة عالية صدرت من تلك المتهكمة:

ـ هههههههه سمعيني قولتي إيه!

ـ بتقولي بتك لاااا بجد وده من أمتا حستيه...

ـ أطلقت " تحية" صرخة عالية تزجرها:

ـ باااات أنتِ بكلمي أمك أتعدلي بدل ماعدلك.

ـ تحولت بؤبؤتها إلى قتامة وهتفت بألم صارخ:

ـ أمي هى فين، ميكونش قصدك أنتِ، بجد اتفاجئت، أنتِ مش أم ولا تعرفي يعني إيه أمومة أنتِ واحدة قاسية معندهاش قلب، أنتِ آخر واحدة تكلم عن الأمومة، كنتِ فين ياما وأنا بموت كل يوم في يوم ألف مرة بسببك وبسبب أمثال الحيوان اللي جانبك هاا، كنتِ فين وهما بيكلموا عليا ويقتلوني بكلامهم، كنتِ فين وأنا بصرخ من الألم كنتِ فين وأنا مش عارفة حتى ألبس جزمتي مش شايفة مين دخل عليا ومين خرج كنتِ فين وأنا قاعدة وطول الليل لوحدي في أوضة المستشفى حاضنة نفسي وخايفة حد يعملي حاجة ويستغل عمايا، هاااا كنتِ فين ردي ولا صوتك راح، متقوليش أمك ديه تاااني فاهمة،

بوقار بيت الأدب Bouvar

أنا مش بتك أنا موت على إيديك لما كنت بتسبيني أصرخ من الجوع وأنتِ رافضة ترضعيني مستخسره فيا لبنك أنا موت من ساعتها، وأنتِ كمان موتي بالنسبالي أمي ماتت، اطلعي باااارة انسي لكِ بنت انسيها وأنت يمين بالله لأكون حبساك ومش كده وبس المحل والعمارة اللي كتبهم عمك باسمك تعمل تنازل عنهم وقول لأمك لو شوفتها في بيتي تاني لأكون طردها هى واخواتك والحيوانة اللي خونتني معاها هتشرف جنبك متقلقش، صبرك عليا كلها كام ساعة وأخليك تندم أنت واللي زيك على اللي عملته، وعلى فكرة أنا مش بهددك أنا هعمل كده.

ـ وقف كلاهما مصدومًا ألجمت الكلمات في حلقهما دفعتهما من غرفتها بكل قسوة وجلست على أريكتها وصدرها يعلو يهبط إثر إنفعالها، تعلقت الأدمع في مقلتيها

بوقار بيت الأدب Bouvar

لا تعلم من أين لها بتلك القساوة ابتسمت على سذاجة حديثها فهى تعلم جيدًا من أين لها؟

ـ يكفي أنها تربت أربع وعشرون عامًا مع امرأة لا تعرف سوىٰ مبدأ أوحد

" اكسر للبت ضلع يطلعلها أربع وعشرين "،

ـ هى لم تكسر لها ضلع بل هشمت عظامها أجمع...

ـ قاطع استرسال هواجسها ذلك الصوت الذي تمنت رؤيته وها هيه الآن تراه تبصره جيدًا لم يكن أقل مما تصورت كان فاره الطول ذو قوام رياضي عريض المتكبين ذو نظرة مزدوجة حانية وحازمة في آن واحد ذو بشرة خمرية، كان مثلما تخيلته، كانت تود لو يمكنها إلقاء نفسها بين أذرعه؛ فالآمان الذي تحمله مقلتيه لم ترىٰ كمثله فكيف بحضنه؟!

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ همست مستغفرة فأردف هو بقلق بالغ فقد استمع لكل ما حدث، لم يكن أقل رغبة منها فيه ضمها إليه ولكن يعلم أن الطريق لها شاق فهى لن تتقبله الآن وإن كانت تهيم به عشقًا فكيف لها أن ترضىٰ بها دون ظنها أنه يريدها إحسانًا منه وشفقة عليها وليس رغبة فيها ولا حبًا!

ـ كيف يخبرها أنها توسدت قلبه واتخذته عنوة؟!

ـ كيف يخبرها أنه نبضه صار ينطق شغفًا بحبها؟!

ـ اعتدل في وقفته وهتف بقلق:

ـ أنتِ كويسة.

ـ ابتسمت بتهكم ولكن احساس بالإرتياح يغمر أواصلها فهى قد أفرغت همًا كان جاثيًا على قلبها فأردفت بهدوء ينافي حمرة انفاعلها التي طغت على قسماتها:

ـ أحسن كنت محتاجة أعمل كده من زمان أوي.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ جلس على مقربة منها وشخص أبصاره إليها:

ـ قستي على والدتك.

ـ نظرت له بحد والتمعت بؤبؤتها بحزن جاهدت في اخفاءه ولكنها فشلت، فهى أمها آخرًا ولكنها السبب فيما آلت إليه الأمور الآن أجهشت في بكاء مرير، وهتفت باكية:

ـ مكنش قصدي أجرحها بس هى السبب، ديه بدل ما تحضني وتطمن عليا ضربني بكل قسوة قدامه، أنا عندي حق أنا عمري ما حسيت بمعنىٰ كلمة ماما، تعرف ديه عمرها مخدتني في حضنها، عمرها ماقالتلي كلمة حلوة حتى لو من ورايا، هى ليه كده ذنبي إيه أني شكلي مش عاجبها أنا لازم أكون بشعر اصفر وعيون زرقة عشان تحبني لازم أكون جميلة الجميلات عشان تفتخر بيا ليه مش راضية بيه ليه شيفاني غلطة عمرها ليه عملت ليها

بوقار بيت الأدب Bouvar

إيه والله مكنش ذنبي أنها فقدت رحمها والله لو خيار بإيدي لكان الموت أهون عليا من نظرتها اللي موتتني ألف مرة وأنا حية.

ـ ابتلع غصة مريرة وهتف بهدوء محاولًا تهدأتها:

ـ مفيش حد بيكره ابنه...

ـ قاطعته بصياح:

ـ يبقىٰ تسمي اللي عملته ده إيه أديني مسمى ليه، ربنا ميرضاش بالظلم، ده أنا ضناها ليه كده، ليه وصلتني لكده هى فرحانة دلوقتي وأنا بقولها بكرهك فرحت باللي وصلتني ليه هى متعرفش قبل ما طالب ببرها أنها المفروض تبرني ليه دايمًا بيفكرونا ببر الآباء وينسوا أن في بر اسمه بر الآبناء، الآبناء اللي لو رعوهم بحنية وحب هيطلعوا يبرهم عن طيب خاطر منهم مش عشان ده واجب عليه وخلاص الآبناء لو سمعهم واحتوهم مش

بوقار بيت الأدب Bouvar

هيدوروا على حد يسمعهم ولا يدوروا عن حضن برة يترموا فيه يشكوا همومهم، الآبناء اللي افتخروا بيهم بأقل شيء هيزرعوا جواهم حب الكفاح والنجاح، هما فين من كل ده تقدر علاقتي بيها ليها مسمىٰ إيه!

ـ تنهد بألم فوقع كلماتها ألم قلبه وأخذ ينحت في نياطه؛ فهو لم ير من والديه سوى حبًا جمًا وحنانًا غداقًا، لم يعلم كيف يقسو الآباء على أبناءهم بتلك الطريقة؟

ـ من أين لهم بذلك الجفاء وتلك القسوة على فلذات أكبادهم؟!

ـ نظرة لها بضياع لا يعلم ما يقوله لها وقف أمامها عاجزًا، يعلم أن ما فعلته رد على ما نالته منها ولكن لا يريدها كذلك لا يريدها قاسية وإن كانت على حق!

ـ هتفت بهدوء بخلاف تلك العاصفة الهوجاء بفعل ضميرها الذي بات يأنبها :

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ متقولش حاجة هى غلطت وأنا غلطت لما كلمتها كده بس أنا كان غصب عني اللي شوفته بسببها مكنش سهل تعرف أنا مكرهتهاش ولا هكرها أنا حتى معرفش شعور الكره إيه بس مش عايزة أصالحها دلوقتي نفس ضميرها يأنبها يمكن تفوق وتصلح على فكرة أنا فتحت.

ـ أدار أنظاره مصدومًا إثرىٰ جملتها الآخيرة، ماذا؟

ـ أحقًا أبصرت وكيف لها أن تصمت عن أخباره إلى الآن؟!

ـ أخذت ابتسامته في الإتساع وهتف فرحًا:

*****

بوقار بيت الأدب Bouvar

الفصل الأخير

ـ أقبلي عليَّ ودعي كفكِ يحتضن كفي ولنمضي سويًا إلى دنا لا ينيرها قمر سواكِ ولا يزينها سوىٰ مقلتيكِ العسليتين.

ـ وافيني عند منتصف الطريق وليتكئ كلانا على بعضنا البعض ولنضمد جروحنا معًا؛ ليكتمل نقصي بكِ ولتكتفي بي.

ـ طُلي عليَّ يا ابنة الحُسن من الجوار وكوني جاري وليرمم كلانا أطلال الآخر؛ وليكن كل منَّا لكله الآخر ترياق حانٍ لوَصب آلامنا المثخنة.

ـ " أنا فقير بدونك والغني بمعيتكِ"

ـ وبكِ عن بنات حواء أكتفيت، وارتضيتكِ من بين الشقروات المليحات؛ فأنتِ بثوب عائش تجملتي وبحياء

بوقار بيت الأدب Bouvar

فاطم توجتي، وبإخلاص خديجة تحليتي، فسبل العفاف دربك، ومذهبك نساء المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين.

ـ فتقبليني وأكرمي بي؛ عسىٰ نلتقي عند الحوض وتضمنا جنان الفردوس كما جمعتنا مشارق الأرض ومغاربها.

ـ التفت إليها محدقًا فيه بذهول، ماذا قالت؟

ـ أحقًا أبصرت، هل تراه الآن؟!

ـ كيف لها أن تصمت إلىٰ الآن؟!

ـ هتف بفرحة غير مصدق أذناه:

ـ أأنتِ بتكلمي جد، يـ يعني أنتِ شيفاني، طيب دول كام ـ وأشار أما أعينها برقم أربعة ـ.

ـ تبسمت له بهدوء على خلاف قلبها الذي يتراقص فرحًا من أهتمامه وفرحته بما سمعه ورأه؛ فقد فضحت مقلتيه

بوقار بيت الأدب Bouvar

كُنهه ورأت بأم أعينها صدق مشاعره نحوها، هتفت ببساطة باسمة:

- أربعة! والله أنا تمام.

- أردف بإستعجال وهو يهُم بالمغادرة:

- لا لازم نطمن أنا هكلم " زياد" يكلم أي متخصص من قسم " العيون" يخليه يفحصك.

- مش محتاجة أنا شايفة كويس.

- اللي عندي قولته، أشوفك بليل تكوني هديتي شوية.

- أومأت برأسها مستسلمة لحزمه فهى تعرفه لن يُجدي حديثها معه نفعًا فلن يهدأ له بال حتىٰ يطمأن عليها.

*****

- خرج من عندها وتكاد قدماه تحمله؛ من شدته فرحه يكاد يجزم أن قلبه يشبه الطير الخفاق في أفق السماء.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ ولج مستعجلًا إلى مكتب " زياد" وقص له المستجدات الحادثة لـ " آية" وأخبره بضرورة إجراء الفحصات اللازمة لها وإعلامه فور ظهور النتائج، وذهب مسرعًا إلى وجهته يندابه العجب من مضمون الرسالة المرسلة إليه كان مترددًا بشأن ذهابه ولكن حسم الأمر وقرر إرضاء فضوله.

.....

ـ على أحد المقاهي التي تطل على شاطئ

" ميامي" في الإسكندرية.

ـ يجلس الحاج " مرتضى" ساهمًا أنظاره إلىٰ مياه البحر بشرود وقد تخضبت السماء من فوقه بألوان المغيب، كأنها تذكره أن الديجور الدامس يعقبه فجر صادق، وأن الربيع يعقب الخريف فيزهر ما كان متيبسًا ويُخضر الآراضي البور بالزروع وثمار اليانعة، فمن رحم الظلمات ولد النور، ولولا الظلام لِمَ أدركنا نعمة النور.

بوقار بيت الأدب Bouvar

ـ حمحم ذلك الساكن منذ وقتٍ قليل يعلمه بوجوده، فرفع الآخر أنظاره إليه كالغريق الذي يتشبث بآخر طوق نجاه.

ـ حاول الإبتسام معبرًا له عن إمتنانه لمجيئه إليه فهتف بإمتنان:

ـ كنت عارف أنك هتيجي شكرًا لك يا ابني.

ـ استنشق " أحمد" هواء الزفير بهدوء وهتف بلينٍ:

ـ مفيش داعي للشكر، قولي حضرتك عايزني ليه وأنا اللي في مقدوري بإذن الله هعمله.

ـ تنهد الآخر بألمٍ ناخرٍ وقبض على ساعديه بقوة وهتف بنبرة طير مذبوح:

ـ أنا عايز بنتي، قولي إزاي أقدر أقرب منها الأيام اللي قعدت بعيدة عنها وكنت فاكر إني هرتاح منها طلع كلام على ميه؛ بتني كانت زي نسمة الهادية اللي بتلطف

بوقار بيت الأدب Bouvar

المكان، سبحان الله بتحسن بسكينة وهدوء غير وهى موجودة فيه، دلوقتي البيت عامل زي حلقة النار، حتى مش طايق أقعد فيه من غيرها، أنا عارف إني قسيت عليها ووجعتها جامد بكلامي على خلفة الواد اللي هيشيل اسمي من بعيدة كنت حمار عامل زي الطور اللي معمي عينيه وهايج في كل اللي قدامه، كنت فاكر أن خلفة الواد هى اللي هتقويني وأن الواد بعدي هيكون سند ليها وأمها، كنت فاكر أن الواد هو اللي هيعوضني سنين شقايا وتعبي هو اللي هيكبر اسمي من بعدي، كنت كل ما ضميري يوجعني من قسوتي عليها أخد الحجج ديه واقنع بيها نفسي، بس دلوقتي أنا اتأكدت ولا عشر رجالة يجوا جنب ضفر بتي حاجة، بتي اللي كل ما قسي عليها كانت تقرب وتحتضن فيا وتعمل كل حاجة عشان تراضيني وأنا غبائي عميني وجشعي ضيع نعمة ديه من قدامي، يعمل

بوقار بيت الأدب Bouvar

ايه الواد لو طلع عاق بيا كنت ساعتها هفرح إني جبت واد بس مش طايقني، أنا ضيعت بتي من حضني أنا عارف إن مستهلش منها كلمة بابا ولكن قسم بالله أنا فوقت خلاص الغشاوة اللي على عيني انزاحت من ساعة ما حسيت أنها هتروح مني أنا من ساعة مدخلت المستشفى وأنا مش بنام من وجع الضمير، ساعدني يا ابني أنا شوفت في عينك اللي كنت بخبيه طول الوقت ورا قسوتي أنا لو مش عارف أنك بتحبها وشريها مكنتش لجئت لك، ساعدني أكون أب لابنتي في الأيام البقيالي من عمري أنا خايف أموت وهى لسة مش مسمحاني، أرجوك ساعدني.

ـ تنهد على مهلٍ وهتف بمآذرة:

ـ لو عايز فعلًا ترجع لحضنكم لازم تكون ليها السند اللي يقويها مش اللي حمل عليها، قرب بينها وبين والدتها

بوقار بيت الأدب Bouvar

أقف قصاد والدتها وخلي أمها الأول تعترف لنفسها بالجريمة اللي عملتها في حق وبنتها اللي كنت جزء فيها بسكوتك وسلبيتك، رجع حقها من اللي ظلموها بأفعلهم زي ابن أختك اللي خانها وقهرها واستقوىٰ عليها عشان عارف أنكم هتكونوا في صفه هتيجوا عليها مش هتكونوا حما ليها، أقف قصاد أخواتك وعيالهم وقول بعلو صواتك أنك فخور ببنتك وأنها عندك أحس من مليون ولد، أقف قدام أمها وقدام عمتها اللي عابوا في شكلها وهزوا ثقتها في شكلها وقولهم أنها أجمل من أي واحدة متبرجة وأن الجمال الحقيقي هو روحها الطيبة وأخلاقها العالية، خليها ترجع تاني تدرس اللي حبها وتحقق حلمها اللي أنها قتلته في مهده، امشي جنبها مرفوع الراس فخور أنها من صلبك مش مخبيها من الناس ومستعر منها، طبطب عليها احضنها اسمع ليها كون ملجأها الأيد الحنينة مش

بوقار بيت الأدب Bouvar

القاسية اللي تضرب وتبعد، كون ليها الأب وعوضها حنان الأخ كون ليها حما وأمان كون ليها الصاحب متخلهاش في يوم تقول يارب أجوز عشان جوزي يعوضني متخلهاش تقول يارب جوزي ميكونش زي أبويا، خليها تحس أنها مكتفية بيك وأن الجواز ده مش التعويض عن الحب اللي مفتقداه الجواز ده حب من نوع تاني ميغناش عن حبك، كون ليها قوتها وقت ضعفها سعادتها وقت حزنها خليك راجلها الأول ومصدر الحنان والسعادة، أقربها لك وخليها سندك، خليها عكازك، خليك أب فعلًا مش صورة على البطاقة؛ ساعتها هى هتسامحك وهتنسى كل حاجة، ديه نظرة حنان منك وضمة لصدرك وطبطة من أيد وصوت حنين كفيل يدوب السدود اللي تبنت بينكم، قرب أمها منها، لو أمها قاسية خليك أنت الصدر الحنين متبقاش الدنيا كلها قاسية عليها، صدقني

بوقار بيت الأدب Bouvar

السند مش الولد السند قلب، قلب يسند ويشيل القلب حمول وقت الضعف يضخ قوة وحنان، السند مش بيتحد بالولد والبنت سند قلب شايل هم اللي قدامه دراع تنسد المايل أيد بطبطب على المكسور اللي قدامه ده السند بجد، السند يعني تربي صح عشان تحصد صح هتزرع حنان في صغر هتلاقي مودة ورحمة في كبر، هترزع حب هتلاقي أشجار راسغة بيه هتزرع قيم هتلاقيها أخلاق وشيم في الأكبر، خلي الجملة ديه قدامك،

" اتربوا قبل أن تربوا "، يعني ربي نفسك صح الأول واللي متزرعش فيك اتعلمه وازرعه جوا عيالك متبخلش عليهم وزي متبخل عليك، اتربى صح هتربي صح، التربية مش فلوس وأكل وخروج، ديه مش تربية ديه واجبات أنت مسؤل عنها، تربية يعني تعرف الصح وغلط وتعلمهولهم مش عيب أنك تتعلم وتقرأ وتستشير أهل

بوقار بيت الأدب Bouvar

الخبرة في تربية أولادك العيب أنك تعاند نفسك قبل غيرك ومتعتفرش بغلطك في حق أولادك اللي نتجك بسبب عيندك مع نفسك وغرورك بأنك صح وأن طريقة تربيتك مفيش اللي غيرها صح، تربية أنك تحتويهم و بالآمان والحنان عشان يكونوا مليانين من جواهم شبعانين مش جعانين حب مش عطشانين حنان مش مفتقدين آمان، تربية احتواء مش أمر ونهي من غير أسباب، التربية الصح هى اللي طلع جيل معطاء مش معاق عاطفيًا.

ـ تنهد الآخر بأمل وهتف بحب وإمتنان:

ـ أنا عمري مهلاقي أحسن منك لبنتي أنت عوض ربنا لها عن ابن أختي اللي بسببي خلته يطمع فيها، وعد مني لربنا وأنت شاهد إني هعوضها عن كل السنين ديه وأنت هتكون ابني اللي مخلفتهوش، هكون ليها الأب والأم وأنا

بوقار بيت الأدب Bouvar

هحميها من أمها من أي حد يفكر حتى يأذيها بكلمة هكون ليها الأب اللي اتمنته.

ـ تبسم" أحمد" براحة وهتف بحماس:

ـ طيب تعال معايا المستشفى واكلم معاها وابدأ صفحة جديدة تكون فيها بطلها.

ـ دب الحماس في أواصله وهتف بتأيد:

ـ رجلي على رجلك بس الأول هكملها الكنافة بالقشطة اللي بتحبها.

ـ هى بتحبها! مقولتليش ليه ده أنا من الصبح عمال أفكر أجبلها إيه عشان فتحت...

ـ هى فتحت! وقاعد كل ده أضرب دلوقتي قوم فز بينا على أقرب حلواني بسرعة وفكرلك يا خويا بهدية تانية وأنا

بوقار بيت الأدب Bouvar

شايف في صايغ جنب المستشفى معاك فلوس لدبلتين ولا أسلفك.

- بجد! يعني حضرتك...

- أنت لسة هكمل قوم بينا يلا.

*****

(النهاية)

تمت بحمد الله.

بوار
بيت الأدب

بوقار
بيت الأدب
Bouvar